الـــــــــــــمصطلح الأجنبي و إشكالية المكافئ العربي و تأثير ذلك في صناعة المعجم- المصطلح النقدي -أنموذجا

الطالب :عبد القادر خروبي.
.Yacinekader1990@gmail.com
إشراف /أ.د:يوسف بن نافلة
جامعة الشلف /الجزائر

تاريخ الإرسال :2019-06-10 تاريخ القبول: 2019-12-25تاريخ النشر: 2019-12-31

الملخص :

تزداد يوما بعد الأهمية المعرفية للمصطلح في الخطاب النقدي المعاصر، و تزداد حوله الدراسات، و مادام المصطلح يمتلك هذه الأهمية في لغته الأصلية، فيصبح لزاماً عند ترجمته إلى ثقافات و لغات أخرى التنبّه لتلك الحمولة الثقافية و الحضارية التي يحملها معه إلى اللغة المستقبلة، و المصطلح النقدي اكتسب هذه الأهمية كونه قاعدة أساس يُبنى عليها وضع المعاجم المتخصّصة في هذا العلم و لا يتأتى ذلك إلاّ بتذليل العقبات التي يعاني منها هذا الحقل المعرفي من اضطراب و فوضى في المفاهيم و المصطلحات.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، المعجم، المصطلح النقدي، المكافئ العربي، الترجمة

الملخص باللغة الأجنبية :

Abstract :

It is becoming more and more important to translate into other cultures and languages, to pay attention to the cultural and cultural load it carries with it to the receiving language, and the term The importance of this critical importance is the basis for the development of specialized dictionaries in this science, and this can only be achieved by overcoming the obstacles that this field .of knowledge suffers from disorder and chaos in concepts and terminology

Keywords: speech, lexicon, monetary term, Arabic equivalent, translation

تمهـــــــيد:

يعاني المصطلح النقدي المترجم إلى اللغة العربية عموما في مجال الدراسات النقدية من كثرة الخلط و الاضطراب، و بالأخص عندما يتعلّق الأمر بإيجاد المكافئ العربي للمصطلح الأجنبي الذي يُعاني من كثرة المصطلحات المعادلة له في اللغة العربية، و هذا ممّا يُعيق جهود علماء المعاجم المتخصّصة في مواصلة بحوثهم و تقديم معجم يفي بالغرض في أي مجال من المجالات اللغوية.

والنقد باعتباره فرعا من الفروع اللغوية لم يسلم هو الآخر من هذه الإشكالية بل تبرز فيه هذه الأخيرة و تتعقّد أكثر من أي مجال لغوي آخر، فهو يعاني من عدم توحيد المصطلح، وعلى حدّ تعبير بعض العلماء فقد استحسنوا هذه الظاهرة فتعدد المصطلحات للمفهوم الواحد فهو من قبيل الثراء اللغوي الذي يزيد المعجم غنى بالمواد اللغوية التي تخدم اللغة ككل، وعلى العكس من ذلك يرى البعض في هذا تشويش على الدارسين و الناشئة.

1- علاقة علم المعاجم بعلم المصطلح:

لقد اختلف الباحثون في العلاقة القائمة بين علم المصطلح و المعجمية و اتجه فريق إلى أنّ رغم الجذور الممتدة التي تجمع بين العلمين إلّا أنّ كلا العلمين في طريقهما إلى أن يستقل كلّ بذاته للأبحاث المكثّفة في

هذين المجالين و هذا ما أشار إليه عبد السلام المسدي حين قال:"... و اعتبره بعضهم(علم المصطلح) علماً مستقلّا بذاته لما يراه من مظاهر اختلاف بينه و بين المعجم و منهم من يرى أن الفصل بين الاثنين فصلاً مصطنعاً باعتبار أن موضوعه(الوحدة المصطلحية) و هي فرع للنظام اللغوي و المعجمي ككل"[1].

وهذا لا يمنع من أن تكون هناك نقاط اختلاف و التقاء بين العلمين و لو كانا كذلك لما انفرد كل واحد بتسمية خاصة به و هذا ليس من قبيل الاعتباط فيما يبدو، و قد حددّ أحد الباحثين نقاط التقاء هذين العلمين فيمايلي:" و تلتقي المصطلحية مع المعجمية نطاق الآليات التطبيقية التي تعتني بالتسمية، مثل التوليد و الاشتقاق و صناعة المعجم و جمع المدوّنة" و يضيف ذات المتحدّث أن " علم المصطلح يلتقي مع المعجمية التي تبحث في دلالة الألفاظ و تصنيفها و ضبط مقاييسها المعجمية من بنية و تكوين و اشتقاق و توليد و هي مسائل تشترك فيها مع المصطلحية التطبيقية"[2].

و الرأي الذي يمكن أن نستأنس إليه هو القائل بانتماء(علم المصطلح) إلى علم المعجم لاعتبارين اثنين أحدهما:

- المتعلّق بكون (علم المصطلح) مرتبط بدراسة (المصطلح) و هذا الأخير إنّما هو امتداد طبيعي للفظة اللغوية العامة التي هي عماد المعجم العام، ومن الناحية المنطقية، إذا كان المصطلح امتداد للكلمة أو اللّفظة العامّة، و المعجم المتخصّص هو امتداد للمعجم العام، فمن الطبيعي أن يكون المصطلح امتداد لعلم المعجم[3] .

و عليه فيتلخّص لدينا أن نقاط الالتقاء تبرز من حيث التصنيف و الضبط، أمّا نقاط الاختلاف فهي جوهرية لابدّ من الإشارة إليها كالآتي:" تعتمد المصطلحية في تسميتها للمصطلحات على الانطلاق من المفاهيم، ثمّ البحث عن الألفاظ المناسبة لها، و تعتمد المعجمية على الانطلاق من الألفاظ ثمّ البحث عن الدلالات المناسبة لها، و لذلك فالفرق واضح من هذه الزاوية في المنطلقات المنهجية و المقاربات العلمية...غير أنهما يختلفان أيضاً في الأهداف النظرية، فالمعجمية تهتم بالمعجم العام و تسمّية الأشياء العامة التي تدخل في لغة التواصل العادين بينما تهتم المصطلحية بتسمية المتصوّرات التي ترتكز على ضبط المصطلحات"[4].

خلاصة القول أنّ كلا العلمين ينطلقان من أساس واحد و يتخذان من المصطلح بمفهومه العام مادة بحثهما من حيث دلالته و تصنيفه و يفترقان فيما بعد في مناهج دراسة المصطلح و الأهداف و المقاربات العلمية، و من ناحية أخرى فهما يعتمدان على بعضهما في الوصول إلى نتائج.

أمّا عن أهمية المعجمية فقد بيّن غير واحد من العلماء بأهمية المعجمية و فضلها على كافة الدراسات و العلوم اللغوية، فهذا **عمّار ساسي** يقول:" المعجمية علم كبير و أساس متين ذو شأن يتتبّع المفردة دلالة و استعمالاً عبر الزّمن على خطى الصّحيح و الفصيح، و قد عدّت مفتاحاً لكلّ العلوم، و هي الذاكرة التي تحفظ المآثر و تحفر في الآثار في كلّ آن"[5].

وليست العربية بدعاً من هذا فقد حاز العرب قصب السّبق في هذا الفن و أولوه عناية كبرى منذ زمن مبكّر من نهضتهم العلمية، و ذلك بإنشاء أول معجم عربي لجميع الألفاظ مرتّباً ترتيباً محكماً عن طريق الخليل ابن أحمد الفراهيدي في كتابه العين و ذلك لحفظ اللسان العربي من اللّحن.

وقد جمع عمار ساسي شروطاً لنجاح مشاريع المعاجم العربية منها[6]:

- فهم الوظيفة الأساسية للعمل المعجمي.
- الدعم المادي و تشجيع الاستثمار العلمي للمشروع المعجمي المتخصّص.
- الجامعة هي المشتلة الأساس للانتاج المعجمي الناضج.
- البحث في ضوء منهج يقوم على صحيحي التراث و الحداثة.
- ضبط القواعد العامة لصناعة المصطلح في اللسان العربي.
- توسيع فكرة مخابر البحث العلمي لإنجاز مشاريع المعاجم المتخصّصة في كافة الفروع و العمل على ترقيتها إلى فكر مؤسّساتي.

2- المصطلح و الترجمة:

من البداهة أن تكون الترجمة هي النقل الحرفي لنص ما من لغة إلى لغة أخرى قصد الاستفادة من المعرفة المبثوثة في اللغة المترجم عنها في أبسط مستويات الترجمة، و لكن المعضلة الحقيقية هي في كيفية سبر أغوار اللغة المترجم عنها لاستخراج مكنوناتها المعرفية و خصوصياتها الثقافية لنقلها إلى اللغة المستقبلة مع العلم أنّ كل لغة لها خصوصياتها، و هذا ما يخلق عقبات أمام المترجمون وجب الانتباه لها.

إن للترجمة أهمية كبيرة منذ القدم شكّلت بما يُسمّى بجسر تنتقل عبره الثقافات بين الأمم و تتبادل بينها المعارف و العلوم، و بالتالي فهي تضيّق من حجم الهوة التي قد تنتج من جرّاء تسابق الأمم نحو الحضارة و التقدّم.

لذا تعتمد الترجمة أو يتوقّف نجاحها من فشلها على خبرة المترجم و سعة اطّلاعه على اللغات و الثقافات المختلفة" و الواضح أن الترجمة ليست فنّاً أو مجرّد عملية نقل من لغة إلى لغة أخرى، و إنّما هي ممارسة لغوية في منتهى الصعوبة، لها أصولها و تقنياتها الخاصّة التي من شأنها أن تنقل معنى النص بقدر كبير من الصّدق و الأمانة، و المترجم الذي يقوم بهذه العملية يقع على عاتقه حمل ثقيل"[7] فينبغي أن يكون كما **قال الجاحظ"** بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، و ينبغي عليه أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة و المنقول إليها، حتّى يكون فيهما سواء و غاية"[8].

3- ترجمة المصطلح و أزمة التوحيد:

يجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ غياب عنصر التنسيق و الحوار بين الهيئات اللغوية من مجامع و مؤسسات في العالم العربي قد عمّق من إشكالية ترجمة المصطلح، و ضرب كل تلك الحصيلة من النتائج و القرارات التي كانت تخرج بها المجامع مع نهاية كل اجتماع لها عرض الحائط ما يعني ضرب مصداقية هاته المؤسسات المخول لها حل المشاكل اللغوية التي تتخبّط فيها اللغة العربية عموما.

ولعلّه من نافلة القول أن نشير هنا إلى أنّ إشكالية المصطلح عموماً ليست وليدة اليوم بل ترجع إلى زمن بعيد من التاريخ الثقافي العربي، و ذلك منذ انفتاح العرب على الثقافات المجاورة و احتكاكهم بها وحاجتهم إلى نقل العلوم و الفنون و المعارف إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة أو التعريب، و بالتالي فوجدوا أنفسهم مجبرين على صناعة مصطلحات لأشياء جديدة لم يألفوها في بيئتهم وهناك بدأت بوادر الأزمة تظهر.

و في عصرنا الحالي هناك قلة و عي بأهمية المصطلح النقدي خاصة بين أوساط الباحثين و الأكاديميين كونه الركيزة التي تبنى عليها منظومة اللغة ككل، كما يقول أحد الباحثين " إنّ أي وعي بالمصطلح و ملابساته هو وعي بالذات و الهوية إذ كلّما سعينا إلى توضيح المصطلح توضيحاً منهجياً مقصوداً، فإنّ ذلك سيعبّر أولاً عن وعي صاحب الخطاب"[9] .

وما دام هكذا هو حال المصطلحات النقدية في الوطن العربي" كان من الضروري بل من اللّازم أن يسعى الباحثون و المختصّون العربي جميعاً إلى التفكير و العمل على خلق مبادرات توحيد هذه المصطلحات و تأطيرها ضمن معاجم موحّدة و مشتركة تكون مرجعاً أساسياً و حتميّاً للجميع دون استثناء، لما في توحيدها من نفع عام يجني ثماره كل أبناء الوطن العربي"[10].

و إننا نعتقد في هذا المقام أن مشكلة المصطلح نابعة من ذلك التصادم تيارين عنيدن حاول كل منها فرض نفسه و آراءه على الآخر للتموقع في ميدان الثقافة العربية و هما: تيار دعاة الإحياء و المحافظين و تيار أنصار الحداثة، فقد حاول الأوّل إبراز خصائص المصطلح القديم و استقراره الدلالي، ومن جهة أخرى ظهور جيل جديد من النقاد خريجي الجامعات الغربية أو حتّى العربي المنفتحة على ثقافات الغرب و المتأثّرة بمناهجها و هؤلاء يمثلون التيار الثاني.

" إلّا أن الخطر لم يكن من التيارين بل كان من تيار ثالث حاول التموضع بين الاتّجاهين ففقد سلطة المصطلح و عكّر نقاوة المعرفة"[11] و هذا خلق جوّا يسوده الفوضى المصطلحية أو كما وسم (بالركام المصطلحي) و الاعتباطية أو عدم التقيّد بأيّ ضابط من ضوابط وضع المصطلح، و بالتالي لا تحكم في المصطلح" لأنّ التحكّم في المصطلح هو في النهاية تحكّم في المعرفة المراد إيصالها و القدرة على ضبط أنساق هذه المعرفة، و التمكّن من إبراز الانسجام بين المنهج و المصطلح...و لا شكّ أنّ كلّ إخلاتل بهذه القدرات من شأنه أن يُخلّ بالقصد المنهجي و المعرفي الذي يرمي إليه مستعمل المصطلح"[12]

وهذا دليل على أنه هناك استخفاف واضح بين المثقفين و الأكاديميين بأهمية المصطلح و يعبّر عبد السلام مسدي عن طبيعة هذه الأزمة قائلاً:" يعيش المصطلح النقدي و اللغوي في بيئتنا العربية بين عقدتين الأولى متعلّقة بسلطة الأصل أو المصدر و الثانية منوطة بالذات، إذ يتبنّى واضع المصطلح الأصلي مصطلحه بكثير من الانفعال و الحماسة، و لذا نجد بعض النقّاد العربي المعاصرين يصعب عليهم التمرّد على سننهم الذاتية في التصنيف و الاصطلاح بعدما كانوا قد استأنسوا الواحد من المصطلحات و استساغوا رشاقته و صلاحه"[13] .

وقد وصف لنا عبد السلام المسدي مراحل انتقال المصطلح بين البيئات المختلفة و هجرته من لغة إلى أخرى هي أشبه بناموس يصيب كافة اللغات بحسب حظها من الحضارة و الثقافة و الاحتكاك بالأمم المجاورة لها، ذلك قبل أن يستقر في مرحلته الأخيرة و في صورته النهائية في ثلاث مراحل[14]:

أ- **مرحلة التقبّل**: و فيها يغزو المصطلح اللغةن و ينزل ضيفاً جديداً على رصيدها المعجمي.

ب- **مرحلة التفجير**:و هي مرحلة الاضطراب، و فيها يُفصل دال المصطلح عن مدلوله و يُفكّك إلى أجزائه المكوّنة له، فيُستوعبُ نسبيّاً.

ت- **مرحلة التجريد**: وهي مرحلة الاستقرار فيها يُحوصل المفهوم، فيستقرّ المصطلح الدخيل مصطلح تأليفي أصلي.

و سمى عبد السلام المسدي هذه العملية(**ناموس الترقي الاصطلاحي**) و هو أشبه بقانون و لكن مجبراً على أيّ مصطلح مهاجر ان يمرّ عليه كما هو و ربّما يقفز من أول مرحلة إلى آخرها[15]

و عليه فطبيعة الأزمة لم تعد قضية مصطلحات نتواصل بها أو نستوردها من الثقافات الأخرى و بالتالي فالقضية أصبحت تأخذ أبعادا أخرى وجب التنبه لها" و لكنّها أزمة فكر بالدرجة الأولى، أزمة ثقافة قبل أيّ شيء آخر، إنّنا حينما نستخدم مفردات الحداثة الغربية ذات الدلالات التي ترتبط بها داخل الواقع الثقافي و الحضاري الخاص بها، نحدث فوضى دلالية داخل واقعنا الثقافي و الحضاري، و إذا كنا ننشد الأصالة فقد كان من الأحرى أن ننحت مصطلحنا الخاص بنا..."[16].

إنّ وضع هذه القضية على بساط البحث يفترض أولاً شعور الاختصاصيين العرب من لغويين و علميين بأزمة تتلخّص في أنّ المصطلحات العربية الحديثة تتلخّص في شتى العلوم متنوّعة متخالفة، فيها من الاضطراب و التناقض ما يؤول إلى الفوضى المعجمية التي يمكن أن يكون لها أثر على تنظيم علومنا الناشئة و على تربيتنا المتعثّرة ومنها على تفكيرنا العلمي إن أخذنا برأيِ فيه[17]... و القضية أصبحت أعمق ممّا يتصوّر البعض ممن يراها غير مؤثّرة على اللغة علوما باعتبار أن اللغة جمعت و سكنت في بطون المعاجم و تم الاتفاق عليها مما لا يدع مجالاً للشك في ألفاضها و مدلولاتها و كل جديد يرد على قاموسنا اللغوي فهو حالات منعزلة يسهل التعامل معها من خلال جهود المجمعيين و غيرهم.

لاشكّ أنّ الدعوة إلى توحيد المصطلح تبدو في ظاهرها و في باطنها نزعة علمية مستحسنة هدفها الدقّة العلمية و فصاحة التعبير و سحر البيان ووحدة التفكير و الثقافة في الأمّة الواحدة[18] و لكن يرى أصحاب التيار المقابل أنّ هذه الدعوة هي فاتحة لأزمة أخرى تتمثل في الحكم اللغة العربية بالجمود و التحنيط و الرمي بها في حكم اللغات البدائية و التراثية ومنه تخرج من دائرة اللغات المبدعة التي تتفاعل مع محيطها و مستجداته فتأثّر و تتأثّر و هذا لا ينبغي للغة نالت شرف حمل الرسالة السماوية، و بالتالي مسألة التوحيد ليست دائما ضرورية و لابدّ من التعامل معها بحذر.

وعليه نقول إنّ النظر في قضية مثل توحيد المصطلح المكافئ للمصطلح الأجنبي، يفرض علينا الإقرار بأنّ لا نختبئ وراء الآراء القائلة بأنّ اضطراب المصطلحات و غموضها و تكاثرها ليست خاصية من خصائص اللغة العربية وحدها، بل هي قضية تعاني منها كل اللغات و ليست العربية بدعاً من ذلك، وهذا لا يبررّ سوى تقاعسنا و تخلفنا عن إيجاد حل لمشكلة تبدو عصيّة على الحل و ليس كذلك، بل لابدّ من تكاتف الجهود بين كل الفاعلين في الحقل اللغوي من مجامع و هيئات لغوية و أكاديميين.

4- دواعي الاضطراب المصطلحي:

إنّ البحث عن حلّ لأيّ إشكالية ينبغي الغوص في أعماقها بغية صبر أغوارها و تتبّع مراحلها تطوّرها التاريخية و بداية نشأتها و ذلك لفك خيوطها الشائكة و الأسباب التي أدّت إلى وجودها، و الأمر ينسحب على

مشكلة الاضطراب المصطلحي و عليه ارتأينا أن نعرّج على بعض الأسباب و الدواعي التي أدّت إلى تفاقم أزمة المصطلح في النقاط الآتية:

يعود سبب المشكلة في نظر **السعيد بوطاجين** إلى " المنتوج الغربي الذي يصل إلى القاريء العربي مبتوراً من عن أصوله، مجزّءاً مفتّتاً غير مرتبط بسلسلة المعارف التي تُسهم بشكل ما في منحه هويته"[19].

و يرجع ذات المتحدّث المشكلة إلى:" الأخطاء على مستوى الترجمة بسبب الاستخفاف بالأصول من جهة و بسبب عدم التمييز بين مصطلحات تبدو متقاربة، في حين أنّها ليست كذلك إلّا في الاستعمال المتواتر الذي قام على الحفظ الخاطئ"[20].

و وجه الإشكالية في ذلك أنّ المصطلح الأجنبي قد يُنقل بمصطلح عربي مبهم الحد و المفهوم، أو أنّ المفهوم الغربي الواحد قد يُنقل بعشرات المصطلحات العربية المترادفة أمامه، أو أنّ المصطلح العربي الواحد قد يرد مقابلاً لمفهومين غربيين أو أكثر في الوقت ذاته، أو الناقد العربي الواحد قد يصطنع مصطلحاً فيه كثير من التصرّف ـــ زيادة أو انتقاصاً ـــ في مقابله الأجنبي و ما إلى ذلك من مظاهر الاشكالية[21].
و العامل الأكبر كما أشرنا سابقاً و الذي يزيد من حدّة الإشكالية هو عدم تناسق و توحيد الجهود بين مختلف و المجامع و الهيئات اللغوية في العالم العربي، و بالتالي يذهب كم هائل من الاقتراحات و الحلول التي تفرزها هاته الهيئات سدى و لا تجد سبيلها إلى التنفيذ لأسباب تارخية و اجتماعية و سياسية ، و تبقى مجرّد حبر على ورق.
و يؤكّد هذه المزاعم أحد الباحثين في قوله:" لكن تبقى مشكلة المصطلح النقدي قائمة ، طالما بقيت عملية تناوله على أكتاف و جهود أشخاص فرادى...فالثّابت أن كل فترة من حياتنا تحتاج غلى معاجم بعينها، وعندما تنهي تلك الفترة نكون بحاجة إلى معاجم جديدة، و تلك في ذاتها عمليّة تراكميّة تنتهي بفوضى استخدام المصطلح دون أيّ إفراز أو انتقاء"[22].
وممّا يزيد الأمر تعقيداً أنّ البعض يتبنّى المعاجم التي تصدرها بلده، و ذلك واضح من اختلاف المسمّيات و الاصطلاحات النقدية بين المشرق و المغرب، و في عقيدة البعض أنّ ما يقوله هو الصحيح فقط دون أيّ اعتبار للمعايير الموضوعية لاستخدام ذلك المصطلح و التي أولها أن يكون مقبولاً لدى الجماهير العربية من المتلقّين، و ألّا يكون في غربة لغوية، فلماذا نقول هيرمنوطيقا و فينولوجيا و لدينا التأويل و فلسفة الظواهر...[23].

5- استعراض لمجموعة من المصطلحات النقدية التي شهدت اضطرابا في مكافئها العربي.

أ- البنيوية: le structuralisme :

يعدّ مصطلح البنيوية من أكثر المصطلحات التي اختلف النقّاد بشأن ترجمتها حيث أورد **يوسف وغليسي** ما يقارب الـ13 مقابل له في العربية على الأقل يقول **بياجيه** بشأن هذا **الأخير**" من المؤكّد أنّ (البنية)ليست طفرة مفهومية بل امتداد لجملة من المفاهيم الموزّعة على حقول معرفية مختلفة، لعلّ مفهوم(المجموعة: groupe) في الرياضيات الذي يراه جون بياجيه أقدم بنية عرفت و درّست"[24].

كما يجب أن نسلّم بأنّ البنيوية هي من المفاهيم المعقّدة التي يصعب تحديد جذورها و الأهداف التي تصبو إليها و يُؤكّد ذلك **جان بياجيه** نفسه:" من الصّعب تمييز البنيوية، لأنّها تتّخذ أشكالاً متعددة،

لتقدّم قاسماً مشتركاً موحّدا"[25]. و تعود طبيعة ذلك إلى التساؤل عن كونها علم أو منهج أو فلسفة... و لاسيّما تداخلها مع العديد من العلوم و المعارف.

فقد ترجم المصطلح إلى: "(هيكل، بنية) لدى **عبد السلام المسدي**، (البناء ، التركيب) لدى **محمّد العناتي**، و (الهيكل) لدى حسين الواد، و(بنيان) لدى **جوزيف ميشال تريم**، (تركيب، نظم، بناء) لدى مبارك المبارك"[26]هذا فضلاً عن ترجمات أخرى كـ: (البُنيانية) **ريمون طحّان** و (البِنائية) صلاح فضل و (البِنوية) لدى **عبد الرّحمان الحاج صالح.**

و اصطناع هذا المفهوم هو مدين حسب النقاد **لدوسوسير** الذي كان يُعبّر عن ذلك المصطلح بالنسق أو النظام(**system**) على حدّ تقرير **جان بياجيه**، و إن كان قولاً آخر يُناقضه بأنّ دي سوسير استعمل مصطلح البنية و يعني ما تعنيه البنية في حالنا هذه...

و دي سوسير بمفهومه هذا للبنية يكون قد سُبق **بعبد القاهر الجرجاني** حين يقول" إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، و لا من حيث هي كلم مفردة، و أنّ الألفاظ تُثبت لها الفضيلة و خلافها في ملاءمة معنى اللفظة بمعنى التي تليها"[27] بحيث لا فرق بين نظم هذا الأخير و نسق الأول على ما يبدو.

ونعود لنقول بأن هذا الركام الاصطلاحي الذي خلفته الترجمات المختلفة لدى مصطلح البنية، و الذي ينم عن نظرة قاصرة و دونية و قطرية يعيشها الفكر النقدي عموماً في عالمنا العربي حيث انفرد كل واحد بمصطلح يراه الأنسب و الأجدر بأن يعكس المفهوم الغربي لمصطلح البنيوية ما سواه يعدّ قاصراً عن تمثل هذا المفهوم.

و هذه الترجمات العشوائية لا يمكن وصفها إلّا بالرديئة على حدّ تعبير **عبد المالك مرتاض** الذي يقول:" و لقد كثر الحديث من حول البناء اللفظي السليم الذي يجب أن يكون عليه اللّفظ، ووقع الإصرار لديّ نهاية الأمر...إطلاق مصطلح بِنوي(**بِنَوية**) لسلامته من الخطأ، هو الأخف بالضرورة نطقه على اللّسان، و الأجمل حتماً وقعه في الآذان"[28].

ومبرّر ما ذهب إليه عبد المالك مرتاض صالح أنّ الأبنية العربية المختلفة التي صيغت كترجمة لهذا المصطلح لا توافق مقاييس العربية و لاسيّما مصطلح (**بُنْيَوية**) الشائع حيث يقول فيه:" فلا ندري كيف ذهب الاستعمال النقدي العام المعاصر إلى هذا الخطأ الفاحش الذي لا مبرّر له إلّا أن يكون على إفساد العربية و فأسها بالفأس و الاستمتاع بإصابتها باليأس في الرّأس"[29].

ب- السردية narativity:

يعدّ مصطلح السردية من المصطلحات النقدية التي دار الجدل حولها بين النقاد بخصوص مكافئها العربي. و يتّفق أغلب النقدة العرب على تعريب هذا المصطلح بـ: (**السردية**) إلاّ ثلاثة منهم : سعيد الغانمي و حسن أحمامة و السيّد ابراهيم، و الأولان يُترجمانه بـ: (**السادية**) و الثالث يُترجمه بـ: (**الملكة القصصية**)[30].

وما زاد الأمر تعقيداً هو تداخله مع مصطلح آخر يماثله و يقاربه في بعض المفاهيم في لغته الأصلية ألا و هو **Naratology**. و لعلّ أول من لاحظ الفرق بين المصطلحين هو الباحث المغربي علّوط محمّد... و أول من وضع تعريفاً له هو حمادي صمود الذي ترجمه بـ: (**القصصية**)[31]، و قد يترادف المصطلحان على قول **كريم الخفاجي** أيّ أنّ القصصية (**Narrativity**) هي: "سر تعبير كل النصوص وفق قوانين ثابتة- أي الشكل الأجوف العام- تتّسم بالعمومية و الشمول و الانطباق على كلّ النصوص القصصية، فهي بهذا علم يبحث عن قوانين ضابطة للنصوص الأدبية، و التعريف هذا يترادف مع مفهوم مصطلح الـ **Narratology** بصفته فرعاً معرفيّاً من مشتقات الشعرية الأدبية"[32].

وعودة إلى مصطلح **Narrativity** فهناك من ترجمه بـ: (القصصية) و يترجمه باحثون آخرون بـ: (السردية) و آخرون (الحكائية). و يبدو سعيد يقطين لأول وهلة حائراً في تعريب هذا المصطلح الجديد أهو(حكائية) أم (سردية)؟ و لكنّه لا يلبث أن يُحدّد وجهته بتبني التعريبين الذين يسبغ عليهما دلالات يختلف على وفقهما أحدهما عن الآخر[33] .

و عليه فقد نبّه كريم الخفاجي على تفضيل فهم كل من حمادي صمود و سعيد يقطين لهذا المصطلح كونه الأقرب إلى دقة معناه و تجلية الغموض عنه كما فضلّ ترجمة محمّد علوط .

و بهذا يتلخّص لدينا أنّ المصطلحان قد يضيق الفرق بينهما إلى حد التطابق عند عامة النقاّد، و قد يتّسع مجال بينهما و تظهر بعض الفروق الجوهرية و هذا عند المختصّين.

ج- الحداثة Modernisme:

إذا وضعنا مصطلح الحداثة في إطاره الزماني فهو مصطلح قديم جديد في الآن نفسه و لكن أعيد صياغة هذا المصطلح من طرف العالم الغربي على أنقاض طروحات فلسفية و دينيةن و شُحن بحمولات معرفية و ثقافية ليؤدي وظائف متعدّدة كإعادة كتابة التاريخ و توجيهه لخدمة المصالح الغربية في الفكر المعاصر.

إنّ كلمة **Mode** تعني الحالي أو المعاصر أو القريب العهد و هي لفظة تتسم بتوسّع دلالي واضح تارة و غامض أحياناً...ما يعني بشكلً ما أو بآخر أنّ الحداثة أسّست على مبدأ غير أدبين و أنّ قوامها كان النّزاع الديني الذي خلق صداماً بين التوجّه الوثني و التوجّه المسيحي[34].

لقد تلقّف العالم العربي هذا المفهوم من طرف الباحثيين الأكاديميين و عبّروا عنه بعديد المصطلحات ـــ كغيره من المفاهيم الوافدة ـــ منها: عصرية، عصرنة، حب التجديد... كما وارد في معجم المنهل. أما فيما يتعلّق بالمرادف العربي فقد تمّ اقتراح مصطلح (**الشائع**)[35] و هو في نظر أغلب النقّاد اقتراح لا يفي بالغرض و يدل على تسطيح و تمييع المفهوم و لا يعكس تلك الحمولة الثقافية و التاريخية التي ينطوي عليها المصطلح لذلك تمّ اقتراح مصطلح(**عصري**) من طرف معجم الطلّاب و هذا الأخير أقرب إلى الدقّة.

د- التقويض Deconstruction :

هو من المصطلحات التي أثارت ردود فعل متباينة خرج بالمفردة عن مصطلح (التفكيك) الذي ساد الساحة العربية، و فيه تمثّل الخلل الكبير الذي يعاني منه المصطلح الأجنبي الوافد إلى الثقافة العربية وما يُعانيه من تسطيح و تمييع للمفهوم الأصلي و عدم تتبع المنابت الأصلية للبيئة التي نشأ فيها المصطلح و تطور." و التقويض قد يتناسب تمامًا مع ذهب إليه **دريدا** من أنّ ليس ثمّة عملية تقويضية واحدة إنّما هنالك عمليات تقويضية مستمرة (فالتقويض عنده لابدّ أن يكون بصيغة الجمع لا المفرد)، كما رأينا أنّ التفكيك على شيوعه لا يُفسّر التوجّه نحو خلخلة البُنى الميتافيزيقية و الأيديولوجية في الفكر و النقد العربي المعاصر لكي تظلّ مخلخلة غير قابلة للإعادة و البناء...أمّا القول بأنّ شيوع مصطلح (تفكيك) يجعله جديرا بالبقاء فهو قول لم يُأخذ بعين الحسبان"[36].

و يُؤكّد **ميجان الرويلي و سعد البازعي** أنّ محاولة نقل هذا المصطلح تحت مسمى (التفكيك) لا يقترب من مفهوم **دريدا** حالها في هذا حال مصطلح (التقويض)، على أنّ التقويض أقرب من التفكيك إلى مفهوم دريدا...إضافة إلى ذلك، فالتقويض لا يقبل مثلما يذهب إليه أهل التفكيك في مقولة (**البناء بعد الهدم**)، كما أنّ مفهوم التقويض يتناسب مع الاستعارة التي يستخدمها دريدا في وصفه للفكر الماورائي الغربي... و على الرغم من خصائص التقويض هذه، إلّا أن دريدا يصرّ على عدم ارتباط مشروعه بالهدمية و البناء[37].

و هذا يؤكّد على الخلط و الاضطراب الذي يقعه فيه المترجمون بخصوص مصطلح التقويض الذي حمّل ما لا يحتمل من الدلالات و المفاهيمو تعرّض ربّما أكثر من أيّ مصطلح آخر لسوء الفهم، و ذلك حينما رُبط بالهدم و البناء و هذا يمثل شئُ خطير في الثقافة النقدية العربية كونه يسعى المساس ببعض المعتقدات و الأفكار العربية التي تعدّ بمثابة مسلّمات.

ه- التأويل و الهرمينوطيقا Interpretation and Hermeneutics:

هو من المصطلحات التي تقاربت فيها المقابلات العربية كـ: **علم التأويل و التخريج و التفسير...** و غيرها. هذا فضلاً عن تعريب هذا الّفظ إلى: **الهرمنيوطيقا و هيرمنوتيك** " و التأويل في أدقّ معانيه هو تحديد المعاني اللغوية في العمل الأدبي من خلال التحليل و إعادة صياغة المفردات و التركيب و من خلال التعليق على النص، **الهرمنيوطيقا** هي باختصار نظرية التأويل و ممارسته"[38].

و يقل **عبد السلام المسدي** بخصوص هذا المصطلح:" غير أنّا نؤمن بمصطلح التأويلية الذي يستطيع أن يفي بالغرض المقصود، و لأنّه في الوقت نفسه يمثّل فعلاً الخلفية المعرفية التي يزخر بها التراث العربي الأصيل في علاقته بواقع النص القرآني و المضارع لمصطلح الهرمنوطيقا"[39].

و- نقد النقد Metacritique:

هو من المقابلات العربية التي تداولت بين النقاد العرب المعاصرين و التي تخلو بدورها من غموض و إشكال" و لقد جرت عادة النقاد العرب المعاصرين أن يُترجموا هذه السابقة الإغريقية(Meta) التي استعملت في اللغة العُلمائية(La Langue Savante) في حقول المعرفة لدى الغربيين إلى مصطلح (ما وراء)، أو (ما بعد) و الحقّ أنّها لا تخلو من غموض و إشكال...ذلك بأنّ دلالة هذه السّابقة في العلوم الإنسانية تعني الإخراج و الإبعاد، كما تعني الاحتواء و الإدخال، فإلى أيّ المعنيين يُراد؟ فهل إلى الأوّل أم إلى الآخر؟ و أيهما أليق بالمقام؟" [40].

و هذا الخلط جاء نتيجة عدم تتبّع المصطلح في منبته الأصلي، ممّا جعل بعض المترجين أن يخرجوا به إلى غير معناه الذي وضع له و عليه نقول بأنّه لا يمكن التأسيس مشروع معجم متخصّص بمصطلحات تعاني الاضطراب و الخلط في مقابلاتها و خاصة في حقل النقد الأدبي و هو الذي يزداد تناميا يوماً بعد يوم دون وضوح في الرؤية، ذلك أنّ النقد الأدبي حقل متسع مفتوح على جميع العلوم، و على درجة عالية من الفوضى و الاضطراب في مفاهيمه و مناهجه ...

خاتمـــــــــــــــــــــــة:

في ختام هذه الورقة البحثية توصّلت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- في ظل هذا التطور و الزخم الهائل في الثورة النقدية و جدت الحياة الثقافية و النقدية نفسها أمام تراكم هائل للمصطلحات النقدية الحديثة، و بالتالي كان لزاماً عليها أن تتّخذ موقفاً منه.
- ترجمة المصطلح النقدي إحدى إشكاليات الترجمة العربية، وهي تشغل بال المهتمين بإيجاد معادل عربي لمصطلح النقد في اللغات الأخرى، و أقربهما الفرنسية أو الانجليزية.
- ضرورة الاستعانة بالمصطلحات الشائعة و المفهومة و الابتعاد عن الارتجال في وضع بعض الترجمات الخاطئة التي ينتج عنها التحريف في المفاهيم.
- ضرورة الاجتهاد ما أمكن في وضع مصطلحات نقدية عربية خالصة و منه التأسيس معجم نقدي خاص، لا يمر إلاّ عبر تجلية هذا الوهن و الضعف الذي يطبع الترجمات العربية و لاسيّما توحيد المصطلح.
- إنّ مثل هكذا قضايا تعبر عن الرصيد الحضاري للأمة لا تحل بالمجهودات المنفردة و الارتجالية، بل لابدّ من تظافر الجهود وفق مناهج و خطط استراتيجية مستقبلية.

قائمة الهوامش:

[1] - في المعجمية و المصطلحية، سنان سناني، عالم الكتب الحديث، اربد، ط1، الأردن، 2012، ص26.
[2] - المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم، خليفة الميساوي دار الأمان، ط1، الرباط ، المغرب، 2013، ص40.
[3] - المرجع السابق، ص27.
[4] - المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، ص40-41.
[5] - المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصّناعة، عمار ساسي، دار جدار للكتاب العالمي، ط1،عمان، الأردن ، 2009، ص225
[6] - يُنظر: المرجع نفسه، ص229.
[7] - إشكالية ترجمة المصطلح النقدي في مسرد المصطلحات لكتاب مناهج النقد الأدبي المعاصر للدكتور سمير حجازي، حياة سيفي، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، إشراف: زبير دراقي، السنة الدراسية: 2014/2013، ص32.

[8] - كتاب الحيوان، عمر بن عثمان الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، نشر مصطفي البابي الحلبي و أولاده، ط2، مصر، ج2، 1965، ص76.
[9] - ميلود عبيد منقور، إشكالية المصطلح النقدي(مصطلحات السيميائية السردية نموذجاً)، مجلة التراث العربي، ع104، ص55.
[10] - عبد القادر عواد، إشكالية هوية المصطلح بين التأثيل و التوحّد و التعدّد- المصطلح النقدي و اللساني أنموذجاً- ، مجلة مقاليد، ع9،دسمبر2015، ص117.
[11] - عبد الحميد ختالة، إشكالية المصطلح النقدي بين الترجمة و التعريب و البحث في الجذر الفلسفي ، مجلة مقاليد، ع2، ديسمبر2011، ص123.
[12] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها، نقلاًعن: مدخل إلى علم المصطلح، أحمد أبو حسن، مجلة الفكر العربي المعاصر،ع60- 61.
[13] - يُنظر: قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، د ت، ص56.
[14] - ينظر:إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي، منشورات الاختلاف، ط1،الجزائر، 2008،
- ينظر: المرجع السابق، ص49.[15]
[16]- قضية المصطلح من منظور عبد السلام المسدي، ابتسام ثابت، رسالة ماستر، جامعة محمّد بوضياف، المسيلة، نوقشت يوم:2017/05/23.
- العربية و الحداثة، محمّد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الاسلامي، ط2 ،بيروت، لبنان ، 1986، ص99.[17]
- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.[18]
[19] - الترجمة و المصطلح، السعيد بوطاجين، دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2009، ص123.
- المرجع نفسه، ص144.[20]
[21] - إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي،ص55.
- الترجمة إلى العربية قضايا و آراء، بشير العيسوي، دار الفكر العربي، ط2،القاهرة، مصر، 2001، ص103. [22]
- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.[23]
[24] - يُنظر: البنيوية، جان بياجيه، تر: عارف ميمنة و بشير أوبري، منشورات عويدات، ط4، بيروت- باريس، 1985، ص09.
- المرجع نفسه، ص07. [25]
- يُنظر: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي، ص123.[26]
[27] - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح و تعليق: محمّد التونجي، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1999، ص54.
[28] - في نظرية النقد، عبد المالك مرتاض، دار هومة، دط، الجزائر، 2010، ص191.
- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.[29]
[30]- المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث، أحمد كريم الخفاجي، مؤسّسة دار صادق الثقافية، ط1،الحلة، العراق، 2012، ص88.
- المرجع نفسه، الصفحة نفسها،[31]
- نفسه، ص69.[32]
- نفسه، ص91.[33]
- الترجمة و المصطلح، السعيد بوطاجين، ص118-119 .[34]
- المرجع نفسه، ص120-121. [35]
[36] - دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي و سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط4،الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص15.
- يُنظر: المرجع نفسه، ص107-108.[37]
- المرجع نفسه، ص88.[38]
- المصطلح النقدي و آليات صياغته، عبد السلام المسدي، مجلة علامات، 1993، ص98.[39]
- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف و غليسي، ص221.[40]